السلوك الانتحاري لدى الشباب في المجتمع الجزائري

دراسة تحليلية لإحصائيات الانتحار بولاية جيجل للفترة (2000 –2008)

الدكتور: إبراهيم بوالفلفل، جامعة جيجل، الجزائر

الملخص:

عرفت ظاهرة الإنتحار إنتشار ا واسعا حيث وصلت معدلاتها حدودا مقلقة في المجتمعات المعاصرة خاصة منها الغربية، وبالرغم من أن هذه الظاهرة لم تعرف ذات التطور في المجتمعات العربية والإسلامية غير أن الإنتحار مهما كانت نسبه صغيرة فإنها تعّبر عن مأساة إنسانية تعرفها المجتمعات المعاصرة ومنها المجتمع الجزائري . سوف نحاول من خلال هذه المقالة إلقاء الضوء على ظاهرة الانتحار لدى الشباب الجزائري.

Abstract:

The phenomenon of suicide has known a large spread , its rates attend a worried limits in contemporary societies especially the occidental ones .Although suicide doesn't know the previous development in the Arabic and Islamic societies .Although the weak rate of suicide, this phenomenon expresses a humanistic tragedy known by the Contemporary Societies ,among them the Algerian Society . We will try in this paper to shed light on Phenomenon of suicid between Algerian youth.

مقدمة:

يعد السلوك الانتحاري، سواء كان سلوكا فرديا أو جماعيا، من المظاهر السلوكية التي تثير العديد من التساؤلات حول أسبابها و دوافعها، و الوقوف على حالاتها و النظر في نتائجها الاجتماعية و الثقافية في الأوساط التي تحدث فيها، و يعتبر السلوك الانتحاري واحدا من السلوكات التي عرفتها البشرية منذ الأزمنة القديمة، مع الاختلاف في معدلات حدوثه، و نظرة الناس إليه بإختلاف العصور و الحضارات و المجتمعات، و تطالعنا الأخبار المتسارعة عن حالات الانتحار المتزايدة التي يقوم بها الأفراد خاصة المبدعين منهم، كالكتاب و الشعراء و الفنانين انتحروا بسبب العجز و اليأس و الإحباط ليس من ذواتهم، و أنما من الواقع الاجتماعي المحيط بهم الذي يحاولون تنقيته من الشوائب فلا هم يبلغون حلما من أحلامهم، و لا المجتمع سعى نحو النقاء و الصفاء و محبة الإنسان لأخيه الإنسان.

إن عمليات التغير في المجتمعات الحديثة هي من السرعة و الكثافة بحيث تسفر عن صعوبات اجتماعية رئيسية، و يمكن أن تتسبب آثارها في اضطراب أساليب الحياة التقليدية و في القيم و المعتقدات الدينية و أنماط الحياة اليومية، دون أن تطرح بدلا منها قيما جديدة واضحة و ربط دوركايم بين هذه الأوضاع التفككية و بين ظهور حالة اللامعيارية و هي الإحساس بانعدام الهدف أو بالقنوط الناجم عن الحياة الاجتماعية الحديثة، إن الأخلاق التقليدية التي كان ينطوي عليها الدين و التي كانت تقوم بمهمة الضبط و تقدم المعايير سرعان ما تبدأ بالتفكك مع البدء بالتنمية الاجتماعية الحديثة، مما يدفع أعدادا كبيرة من الأفراد في المجتمعات الحديثة إلى الإحساس بأن حياتهم اليومية لا معنى لها و لا دلالة [1] .

وعليه فقد عرف الانتحار انتشارا واسعا عبر جميع المجتمعات المعاصرة خاصة منها الغربية، و بالرغم من أن منظمة الصحة العالمية توفر أهم الإحصائيات الدولية في هذا المجال إلا أن هذه الإحصائيات تغطي اقل من نصف دول العالم تقريبا و تظل منقوصة و غير محددة بالنسبة إلى عدد كبير من الدول، و تعد الدول

العربية من الدول التي لا توفر معلومات دقيقة عن نسب الانتحار أو السلوك الانتحاري، و ذلك للطبيعة الاجتماعية و الثقافية و العقائدية السائدة فيها من جهة ، و لانعدام وكالات أو مراكز بحثية مستقلة عن الدوائر الرسمية قادرة على توفير المعلومات بكل حيادية .

و إذا كان الخواء الروحي هو السبب في ازدياد حالات الانتحار في المجتمعات الغربية ، فما هو السبب في انتشار حالات الانتحار في المجتمع الجزائري في السنوات الأخيرة ؟ و ما هي العوامل التي تجعل الأشخاص يقدمون على السلوك الانتحاري ؟

1.أهداف الدراسة :

تهدف هذه الدراسة إلى رصد و تحليل مجموعة المتغيرات المتعلقة بالسلوك الانتحاري في ولاية جيجل للفترة الممتدة من سنة 2000 إلى 2008، و ذلك من خلال الإحصائيات التي تم الحصول عليها من الجهات الرسمية بالولاية المذكورة و ذلك من خلال مجموعة المتغيرات الآتية :

- ✓ تطور السلوك الانتحاري زمنيا .
- ✓ السلوك الانتحاري حسب السن .
- ✓ السلوك الانتحاري حسب الجنس .
- ✓ السلوك الانتحاري حسب أيام الأسبوع
- ✓ الطرق الأساسية المستعملة في السلوك الانتحاري
- ✓ البطالة و السلوك الانتحاري .
- ✓ الحالة المدنية و البطالة و السلوك الانتحاري .

2.الإجراءات المنهجية للدراسة

تعد هذه الدراسة من الدراسات الوصفية التحليلية لمجموعة الإحصائيات المتعلقة لسلوك الانتحاري و قد اعتمدت على مجموعة من الإجراءات المنهجية التي ساعدت في تحقيق أهدافها على النحو الآتي:

1.2**مصادر البيانات و تحليلها:** جرت الاستعانة بمجموعة الدراسات و الكتابات و المقالات التي عالجت موضوع الانتحار و السلوك الانتحاري، و قد اعتمدت الدراسة بصفة أساسية على إحصائيات مصالح الأمن و الدرك الوطني بولاية جيجل للفترة الممتدة من 2000 إلى 2008 (ما عدى سنة 2007) .تم جمع البيانات و تحليلها و وضعها في جداول إحصائية .

2.2 مجتمع الدراسة و حجم العينة : يتكون مجتمع الدراسة من المنتحرين و المحاولين للانتحار من سكان ولاية جيجل وفق الإحصائيات من العام 2000 إلى العام 2008 و البالغ عددهم 132) و تشكل بالتالي عينة الدراسة.

3.الصعوبات المنهجية

هناك العديد من الصعوبات تواجه كل باحث يحاول دراسة السلوك الانتحاري و أهمها : عدم الإعلان عن الانتحار من طرف الأسر لأسباب عاطفية أو دينية، عدم تسجيل محاولات الانتحار عند معالجتها في المصالح الاستعجالية، أو عند الأطباء الخواص، كما أن تقنية الإحصاء تختلف من بلد لآخر و حتى من جهة لأخرى في نفس البلد، حيث الأرقام لا تعبر بصدق عن واقع الظاهرة (خاصة في دول العالم الثالث) و التي في الغالب لا يتم إعطاءها حجمها الحقيقي لأسباب عدة ، مما يجعل الاختلافات في بعض الأحيان كبيرة بين الدول.

4.مفاهيم الدراسة

1.4 مفهوم الانتحار

1.1.4 الانتحار لغة : هو عملية " **قتل الذات بذاتها**" و هو مفهوم مشتق من كلمة مركبة من أصل لاتيني من فعل " caedere " بمعنى " **يقتل** " و الاسم " sui " بمعنى النفس أو الذات [2] ، و نقلت هذه الكلمة بكاملها إلى الفرنسية على يد الأب **دي فينـتين** في النصف الأول من القرن 18 سنة 1737 على وجه التحدي. و في العربية يفيد الانتحار معنى مماثل، فالكلمة مشتقة من " **نحر** " أي ذبح و قتل، و انتحر الشخص أي ذبح نفسه و قتلها، و قد استعملت كلمة " **بخع نفسه** " في القرآن الكريم و الأحاديث النبوية الشريفة، و نصوص التاريخ الإسلامي مرادفة للانتحار، و تعني أهلك نفسه و أنهكها غما.

2.1.4 تعريف الانتحار اصطلاحا:و يعرفه دوركايم (E. Durkheim) " **الانتحار نتيجة مباشرة أو غير مباشرة لفعل ايجابي أو سلبي نفذ عبر الضحية ذاتها، و التي كانت تعلم مسبقا بحيثيات النتيجة** " [3] ، فدوركايم لا يأخذ بالقصد في الانتحار، لأن الجندي الذي يواجه الموت لإنقاذ فرقته لا يقصد الموت.

و قد أشار اسكيرول (Esquirol) (1832)، رغم من أنه لم يتعرض لمفهوم الانتحار مباشرة ، إلى عزل السلوك الانتحاري عن أفعال التضحية باختيار فردي أو تحت قهر جماعي لأن التضحية ليست سلوكا مرضيا كالانتحار و لكنها موضع إعجاب [4]. و يؤكد هالفاكس (M. Halbwachs) على التفرقة بين السلوك الانتحاري الإرادي و بين أشكال الموت الإجباري، و أهمها التضحية، فالانتحار هو " **كل حالة موت الناتج عن فعل يأتيه الضحية بنفسه بقصد قتل نفسه و ليس هو بالتضحية** " [5] فالسلوك يكون انتحاريا عندما يقوم الفرد بقصد قتل ذاته دون.

3.1.4 تعريف إجرائي للانتحار : هو فعل إقدام الفرد عن وعي على المساس بحياته دونما تحريض من الآخرين، أو التضحية لقيمة اجتماعية ما، مع انتهائه بوفاته و نسمي هذا الفعل "**انتحارا**".

2.4 مفهوم محاولة الانتحار : في الانتحار الفاشل رغبة الموت موجودة، إلا أن السلوك الانتحاري غير محكم التنفيذ لذلك لا ينتهي هؤلاء إلى الموت، إنهم يحاولون تدمير ذاتهم ، لكنهم يفشلون و ذلك إما لسرعة تدخل المحيط لإنقاذهم و إما لضعف التدبير لعملية الانتحار، و الفرق شاسع بين الحالتين. ففي الأولى القرار حاسم بالاستقالة من الحياة بالرحيل عن هذه الدنيا التي يعتبرونها لا تساوي شيئا ذا قيمة و لا تستحق الحياة ، و هي تقارب أو توازي بالحدة و الفعل الانتحار "الناجح" و لا تقل خطورة عنه، أما الثانية لدى الضعف في التدبير لعملية الانتحار فليس الهدف الموت، بل توجيه رسالة ابتزاز أو تهديد أو نداء استغاثة للآخرين، لذلك يأتي التدبير ضعيفا غير متماسك، و في بعض الأحيان يعلنون للآخرين رغبتهم في الانتحار قبل الشروع فيه بدقائق معدودة، و يحددون لهم الطريقة و المكان و الزمان [6] .

و يعتقد بعض الباحثين أن خطورة المحاولة الانتحارية لا يجب أن تكون مؤشرا ذا مصداقية في تحديد درجة النية لدى الفرد الذي قام بالفعل، فالبعض قد يتناولون القليل من الأدوية بغرض ترك فرصة لإنقاذهم من طرف الآخرين، و لكن لسوء الحظ اساؤوا حساب الآثار الناجمة عنها، و يتم إيجادهم على وشك الهلاك، و بعض الأشخاص يتناولن كميات كبيرة من الأدوية بنية قاطعة لوضع حد لحياتهم لكنهم يتقيئون كل ما ابتلعوه دفعة واحدة أو انه يتم إنقاذهم صدفة و بسبب هذه الاختلافات فهناك باحثون آخرون قد جمعوا كل محاولات الانتحار في صنف واحد ، حيث لا يفرقون بين درجة النية أو الرغبة .

فتبين الأبحاث انه يمكن حساب 100 محاولة انتحار مقابل انتحار واحد، و من بين التفسيرات لهذا العدد الكبير لمحاولات الانتحار مقابل العدد الصغير

بالنسبة للانتحار هو أن اعتقاد المحاولين للانتحار في أن حل مشاكلهم لن تتم إلا باللجوء إلى الانتحار دون اللجوء إلى حلول أخرى قد تغيرت جذريا في آخر لحظة مما دفعهم إلى استعمال طرق اقل حدة أدت إلى فشل قتل الذات .

كما أن هناك مقاربة أخرى لمقارنة الانتحار بالمحاولة الانتحارية للباحث (Kreitman) و بعض الباحثين الآخرين خاصة في أوروبا، و الذين يستعملون أو يفضلون مصطلح " شبه الانتحار Para suicide" مبررين اختيارهم هذا بكون خصائص من ينتحرون تختلف تماما عن خصائص محاولي الانتحار، حسب هؤلاء الباحثين فإن حالات (شبه الانتحار) يتميزون ببذل مجهودات غير عنيفة أو غير حادة لقتل أنفسهم، و هؤلاء يختلفون عن أولئك الذين أكملوا عملية الانتحار و ماتوا عن طريقها .

حتى و إن كان اتجاه البحوث يدعم المقاربة التي ترى باختلاف الانتحار عن نية الانتحار (ما نسميه انتحار كامل و محاولة انتحار)، فمن الواضح أن جزء من الانتحارات الكاملة تشبه أكثر الأفعال المرتكبة من طرف الأشخاص الموصوفين في الأبحاث الخاصة بـ (شبه الانتحار) ، و أن نسبة من الأشخاص الذين قاموا بمحاولات انتحار يشبهون أكثر أولئك الذين ماتوا عن طريق الانتحار ، إن مصطلح (شبه الانتحار) أكثر استعمالا في أوروبا و لكن في أمريكا الشمالية فتتجه الأبحاث نحو التركيز على التشابهات بدل التركيز على التباينات بين محاولة الانتحار و الانتحار الكامل [7] .

وانطلاقا مما سبق، نستنتج بأن محاولة الانتحار هي فعل يقدم من خلاله الفرد على المساس بحياته دونما تحريض من طرف آخر أو تضحية لقيمة اجتماعية ما دون أن ينتهي بوفاة المعني بسبب ضعف التدبير أو لتدخل طرف خارجي في الوقت المناسب و نسمي هذه النتيجة "**محاولة الانتحار**" .

5. **أنماط الانتحار :**

لا يقتصر الانتحار أو السلوك الانتحاري على الأفراد، و لا على المرضى فحسب ، و إنما تمثل في الجماعات و بين الأسوياء أيضا، و من هنا فإن الانتحار و السلوك الانتحاري اتخذ أشكالا و أنماطا مختلفة، و قد صنف دوركايم أنماط الانتحار وفقا لأسبابها الاجتماعية و رسم الملامح الرئيسية لأربعة أنواع من الانتحار اعتمادا على الوجود و الغياب النسبيين للتكامل و التنظيم على النحو الآتي :

1. الانتحار الأناني Egoistic suicide: و يتميز بانخفاض درجة التكامل في المجتمع ، و يقع عندما يعاني الفرد من العزلة أو عندما تضعف أو تنقطع علاقاته أو علاقاتها مع المجموعة أو عندما يكون ارتباط الفرد بالجماعة ارتباطا ضعيفا يبدو الفرد فاقدا لتأثير الجماعة عليه و بالتالي لا يعير أي اهتمام لجماعته إذا ما ساوره أي ميول للانتحار بسبب بعض المشاكل الطارئة، كما أنه في هذه الحالة لا يعتقد بأن انتحاره سيرتب أي نتائج على الجماعة .

و قد سمى دوركايم هذا النوع من الانتحار بالانتحار الأناني بسبب انفصام ارتباط الفرد بالجماعة أو ضعف علاقته بها، و غياب التنظيم الاجتماعي، و يعني دوركايم بذلك أن الأوضاع الاجتماعية في حالة الضياع تحرم الناس من المعايير بسبب التغير السريع أو شيوع عدم الاستقرار في المجتمع، إن فقدان المرجعيات التي يحتكم إليها المرء في رغباته و ميوله، كما يحدث عادة في حالات الخلل الاقتصادي أو المعاناة الشخصية عند الطلاق قد يؤدي إلى اختلال التوازن بين ظروف الناس من جهة و تطلعاتهم من جهة أخرى [8] .

2. **الانتحار الإيثاري Altruistic suicide** : فيحدث عندما يكون المرء في حالة تكامل استثنائية مع مجتمعه، أي عندما تكون الروابط الاجتماعية شديدة القوة و

تغلب قيم المجتمع على قيم الفرد، و في مثل هذه الحالة يتخذ الانتحار طابع الانتحار من أجل " المصلحة العليا " و هو الانتحار الذي يرجع إلى شدة اندماج الفرد في الجماعة حتى انه يفقد فرديته ، و يفسر هذا الاندماج نفسيا بشدة شعور الفرد بالواجب إزاء جماعته حتى انه يصبح مستعدا أن يضحي بحياته من اجل الجماعة إذا كانت هذه التضحية ضرورة .

و يقول دوركايم إن هذا النوع من يوجد غالبا في المجتمعات التي تتميز بالتضامن الآلي، أي أن المجتمع هنا يدفع الفرد للانتحار، و يطلق دوركايم على هذا النوع من الشكل " الانتحار الغيري الإجباري " و يتمثل هذا بانتحار القائد في بعض البلاد عندما يخسر إحدى المعارك، كما يتمثل بالطيارين اليابانيين الذين كانوا يقودون طائراتهم المحملة بالقنابل لترتطم و تنفجر بسفن الأعداء، بالرغم من كون عملهم مقدما بحتمية موتهم ، كما أننا نجد بعض حوادث الانتحار الطقسي بين بعض القبائل الهندية حيث تنتحر الزوجة بعد وفاة زوجها .

فالبنسبة للجماعات التي يكون تماسكها وثيقا جدا و التي يكون ارتباط أفراد الجماعة ببعضهم البعض ارتباطا قويا جدا تصبح قضية الموت و الحياة ذات معنى و ذات قيمة خاصة بها، و بالنسبة لمثل هذه الجماعات فقد يصبح زهق النفس و تضحيتها من الأمور المستحسنة التي قد تضفي أحيانا تأكيد لشخصية الفرد و تحقيقا منه لأمانيه .

و من جهة أخرى قد ينتحر الفرد أيضا إذا فشل في الامتثال لقواعد الجماعة و توقعاتها، ففي هذه الحالة قد يفضل الفرد الموت على الحياة، و يحدث مثل هذا الانتحار بصورة خاصة عندما يشعر الفرد أن حياته أو مركزه الاجتماعي مرتبط ارتباطا متلاصقا بالجماعة التي ينتمي أليها بحيث يشعر الفرد أن حياته أو مركزه الاجتماعي مرتبط ارتباطا متلاصقا بالجماعة التي ينتمي إليها بحيث يشعر انه لا قيمة للحياة إذا سحبت الجماعة رضاها عنه أو اعتبرته مذنبا بحقها ، فتجريم الجماعة للفرد قد يجعله يفضل الموت على الحياة .

و لقد استعمل دوركايم نظريته في الانتحار الإيثاري لتفسير سبب كون معدل الانتحار أعلى بين الجنود من بين المدنيين، و كذلك تفسير سبب كون معدل الانتحار أعلى بين طلاب الكلية العسكرية الذين هم على أبواب التخرج منه بين القادمين حديثا إلى الجيش، و كذلك في تفسير سبب كون معدل الانتحار يزداد كلما أصبح العسكري منغمسا أكثر فأكثر في الحياة العسكرية و تمثل قيمها و قواعدها، إذ في هذه الحالة يصبح الفرد أكثر تلاحما و تماسكا مع أفراد الجيش و قيمه، أي كلما ازداد تلاحمه و ترابطه مع أفراد الجيش و تمثله لقيمه كلما ازداد ابتعاده عن بقية الجماعات في المجتمع .

3. الانتحار "اللامعياري" الانومي suicide Anomic : و هو انتحار الذين لا يسيرون على القواعد التي رسمها المجتمع، فيصبحون بلا معيار يحدد نمط سلوكهم أو طريقة انتمائهم للجماعة، و من هنا تزداد حالات الانتحار حيث تنكسر المعايير الجمعية و تتحطم عناصر الضبط الاجتماعي، أي أن الحياة الاجتماعية الجديدة، بما فيها من قيم و عادات و أخلاق و اعتقادات أضحت لا تلاؤم الأشخاص الذين عاشوا في ظروف و قيم تختلف عن الظروف الحاضرة، فإقدام الفرد على الانتحار يعود للتضارب بين آماله و أهدافه و بين الظروف التي تحيط به بما فيها من عادات و أخلاق و قيم و معايير مختلفة .

فالمجتمع الفاقد للقواعد و المعايير والقيم الواضحة التي تنضم سلوك الأفراد وأمانيهم مجتمع يتصف بحالة الأنومى أو الوهن، والانتحار الأنومى هو الانتحار الناتج عن فقدان القيم أو غيابها مما يشير على اختلال في التوازن الاجتماعي للمجتمع، فترتفع معدلات الانتحار في أوقات الأزمات الاقتصادية، ولا يرجع ذلك إلى الأزمة الاقتصادية أو إلى انتشار الفقر، وإنما ينتج ذلك بسبب تحطم التوازن الاجتماعي .ويؤكد ذلك ما نلاحظه من ارتفاع معدلات الانتحار في فترات الانتعاش الاقتصادي أيضا[9] .

و عندما تكون الجماعة متماسكة ، نجد أنها تتبلور فيها مجموعة من القيم و قواعد السلوك لتنظيم الأفراد بشكل معين و محدد، أي أن الجماعة تعين للفرد الطريق الذي يجب أن يسلكها في الحياة و الأماني التي يجب أن يصبوا لبلوغها ، و معنى ذلك أن الأفراد يعرفون مقدما ما هو متوقع منهم ، و في حالة امتثال الفرد لهذه القواعد فسوف يحظى برضا الجماعة و بالضمانات التي تقدمها له طيلة فترة حياته. فالفرد في هذه الحالة يشعر بالضمان بسبب أن الجماعة تحدد له ما هو الخطأ و ما هو الصواب في سلوكه و بسبب أن الجماعة لا تطلب منه أن يصبوا لأماني لا يمكن تحقيقها، و لكن عندما يضعف تأثير القيم و القواعد على الفرد و لا يعرف ما هو الخطأ و ما هو الصواب و لا يعرف إلى أي الأماني يتطلع ففي هذه الحالة يصبح الفرد في حل من هيمنة الجماعة و قواعدها، كما انه يفقد الضوابط على سلوكه و تطلعاته، الأمر الذي يجعله لا يشعر بالضمان و الاستقرار [10] .

و النوع الأخير هو **الانتحار القدري**: و رغم أن دوركايم لم يتلمس علاقة أو أهمية لهذا النوع بما كان عليه مجتمعه آنذاك ، إلا أنه اعتبره نتاجا لوضع يكون فيه المرء واقعا تحت وطأة التنظيم الاجتماعي القاهر ، و في مثل هذه الحالة يفضي قمع الفرد إلى حالة من العجز الكامل أمام القدر و المجتمع .

6.تحليل نتائج البحث:

يشتمل تحليل النتائج البحث على مجموعة المحاور على النحو الآتي :

1. تطور السلوك الانتحاري زمنيا .
2. السلوك الانتحاري حسب السن .
3. السلوك الانتحاري حسب الجنس .
4. السلوك الانتحاري حسب أيام الأسبوع
5. الطرق الأساسية المستعملة في السلوك الانتحاري

6. البطالة و السلوك الانتحاري .
7. الحالة المدنية و البطالة و السلوك الانتحاري.

1. تطور السلوك الانتحاري زمنيا

جدول رقم (01) يبين تطور السلوك الانتحاري زمنيا في ولاية جيجل للفترة 2000-2008 - 2006

العينة / السنوات	تكرار	نسبة
2000	10	07,57
2001	08	6,06
2002	24	18,18
2003	14	10,60
2004	11	15,90
2005	18	13,63
2006	18	13,61
2008	19	14,39
المجموع	132	% 100

ويبدوا أن السلوك الانتحاري بولاية جيجل قد عرف تصاعدا مقارنة بالسنوات الأولى لهذه العشرية ابتداءا من سنة 2002 الذي سجلت أعلى نسبة بـ 18,18 % من إجمالي نسبة السلوك الانتحاري طيلة فترة الدراسة، إن هذا التصاعد لا يمكن تفسيره في معزل عن السياق الوطني لتطور هذه الظاهرة حيث عرفت ولاية جيجل في بداية العشرية الحالية استقرارا امنيا على غرار باقي ولايات الوطن مقارنة بعشرية التسعينات و التي عرفت الأزمة الأمنية التي شهدتها البلاد بعد الانفتاح السياسي و الاقتصادي في نهاية الثمانينات .

حيث أدى توقيف المسار الانتخابي إلى انزلاق أمني خطير عرفت بعده الجزائر أبشع المجازر في تاريخها الحديث، غير أن معدل العنف قد عرفه تراجعا ملحوظا على المستوى الوطني في نهاية فترة التسعينات و بداية العشرية الأولى للألفية الثالثة، بالمقابل فإن منحى السلوك الانتحاري قد عرف تزايدا في هذه المرحلة بالذات إلى أن وصل إلى أعلى مستوياته في الفترة الممتدة من 2000 إلى 2006 (إحصائيات المديرية العامة للأمن الوطني و مصالح الدرك الوطني للفترة 1990-2005) .

و كأنه كلما زاد العنف و تهديد الموت اتجه الأشخاص نحو التمسك بالحياة أكثر فحسب أحد الباحثين فكون رؤية المجازر و ما تخلفه من ضحايا و سفك للدماء جعل المرء يحب الحياة أكثر من أي وقت مضى، كما أن رؤية الدم تغني الراغب في الانتحار عن الإقدام على وضع حد لحياته .... إنها علاقة طبيعية بين المجازر و الانتحار [11] و حسب دوركايم فإن الانتحار يتناسب عكسيا مع الحرب ، و كما يقال فإننا " لا ننتحر تحت القنابل " [12] .

و في اعتقادنا فإن هول الأحداث و خطر الموت الداهم و الذي يمكن أن يصيب المرء في أي لحظة قد أنسى الكثيرين مشاكلهم اليومية، و التي تعتبر في مثل هذه الحالات ذات أهمية ثانوية، وبعض انقضاء هذا الخطر الداهم عاد الناس إلى التفكير فيما يؤرق حياتهم اليومية من عقبات و صعوبات كالبطالة و أزمة السكن

، و أمام انسداد أفق العيش الكريم أمامهم و سيطرة مشاعر اليأس و القنوط و الإحباط عليهم فإن البعض منهم قد رأوا في التخلص من حياتهم الحل الوحيد المتبقي لديهم، و هذا ما يفسر و لو جزئيا نسبة الانتحار المتزايدة باضطراد عبر سنوات الدراسة .

2. السلوك الانتحاري حسب السن:

جدول رقم (02) يبين السلوك الانتحاري حسب السن في ولاية جيجل للفترة 2000 -2006 + 2008

العينة / فئات السن	تكرار	نسبة
اقل من 20 سنة	13	11,50
29-20	51	45,13
39-30	22	19,46
49-40	19	16,81
59-50	3	2,65
60 فما فوق	3	2,65
المجموع	113	% 100

ينتشر السلوك الانتحاري في الجزائر في أعلى نسبة لدى فئة الشباب منذ 30 سنة مضت (فحسب إحصائيات الدرك الوطني للفترة الممتدة من 1993-2005 فإن 63 % من المنتحرين هم من ذوي الفئة العمرية 18-40 سنة ، متبوعين بفئة 40 سنة فأكثر بـ 14 % ، ثم فئة اقل من 18 سنة بـ 13% . إن نتائج الجدول أعلاه الخاص بالسلوك الانتحاري بولاية جيجل للفترة الممتدة من 2000-2006 لا تشد عن القاعدة حيث يأتي على رأس قائمة المقبلين على إنهاء حياتهم فئة الشباب الممتدة أعمارهم بين 20-39 سنة بنسبة تكاد تكون مطابقة للنسبة الوطنية و قدرت بـ 64.59 %، في حين أن الفئة العمرية الأقل مساسا بالانتحار هي فئة المسنين الممتدة أعمارهم من 50 سنة فما فوق، و هذا عكس ما هو سائر في اغلب المجتمعات الغربية حسب نتائج اغلب الدراسات منذ دوركايم إلى يومنا هذا، إن الانتحار يتزايد حسب السن مهما كان الجنس، الحالة العائلية و مكان الإقامة (13) .

و يمكن تفسير هذا الأمر إلى عوامل المختلفة و من بينها المكانة المرموقة التي يتمتع بها ذوي السن الكبيرة في المجتمع الجزائري المسلم نظرا لطبيعة العادات و القيم الثقافية التي تطبعه و النابعة من تعاليم و قيم الدين الإسلامي الحنيف، حيث تعتبر حصنا منيعا تحمي العلاقة بين أعضاء الأسرة و تفرض احترام الوالدين و تحث على طاعتهما، و تعد من يعقهما بأشد العقاب في الدنيا و الآخرة.

و قد ساهم هذا الأمر في التقليل من نسب الانتحار لدى الأشخاص المسنين إلى اضعف مستوياته على عكس ما يحدث في اغلب الدول الغربية، في حين أن هذه النسبة تزداد عند فئة الشباب نظرا لطبيعة مرحلة الشباب التي تتميز بمواجهة مختلف ضغوطات الحياة و اختباراتها، فبالإضافة إلى الخصائص السيكولوجية التي تعتبر ملازمة لهذه المرحلة من الحياة نظرا لكثافة التحول في سن المراهقة مما يدل على الهشاشة التي تتميز بها الشباب في هذه المرحلة الانتقالية، فإن

الشاب بحاجة إلى تجارب و خبرات جديدة و مكثفة و إحساسات قوية و فريدة ما يفسر بحثهم عن تجاوز الحدود و الذهاب إلى النهاية و محاولة [14] تجريب هذا النوع من السلوكات و التي قد تؤدي إلى إنهاء حياتهم .

من هنا فالتزايد في حالات الانتحار و محاولات الانتحار عند فئة الشباب من كلا الجنسين يعتبر مؤشرا هاما يمكننا من خلال التركيز عليه من تفسير التباين في منحنى السلوك الانتحاري من فترة لأخرى ، إذا أخذنا بعين الاعتبار أن المجتمع الجزائري في غالبيته شباب حيث تمثل هذه الفئة حوالي 75٪ من إجمالي عدد السكان .

3. السلوك الانتحاري حسب الجنس:

من خلال الإحصائيات الخاصة بالسلوك الانتحاري بولاية جيجل للفترة الممتدة من 2000 إلى 2006 يبدوا أن الانتحار يخص الذكور أكثر من الإناث، حيث نجد 60٪ من المنتحرين لهذه الفترة هم من الذكور بمقابل37.5 ٪ من الإناث ، في حين أن العكس هو الصحيح فيما يتعلق بالمحالات الانتحارية حيث سجلنا 62.5 ٪ من المحاولين نساء مقابل 40 ٪ من الذكور .

جدول رقم (03) يبين السلوك الانتحاري حسب الجنس في ولاية جيجل للفترة

2008 + 2006-2000

الجنس / السلوك الانتحاري	ذكـــر	أنثـــى	المجموع
انتحـــار	39 ٪60	18 ٪37.5	57 ٪ 50.44

محاولــة	26 ٪40	30 ٪62.5	56 ٪ 49.55
المجموع	65 ٪100	48 ٪ 100	113 ٪ 100

إن هذه النتيجة ليست خاصة بولاية جيجل و إنما تعتبر نتيجة عامة حيث أن المحاولة الانتحارية هي فعل نسائي بالدرجة الأولى، و أغلب محاولي الانتحار في الجزائر هم من جنس الإناث، كما تأتي هذه النتائج منسجمة و متناغمة مع نتائج اغلب الدراسات منذ دوركايم إلى يومنا هذا، حيث تشير الغالبية منها إلى تفوق جنس الذكور فيما يخص الانتحار الكامل في مقابل جنس الإناث و اللاتي تحاولن الانتحار أكثر بدورهن .

و هناك عدة تفسيرات لهذه الظاهرة و منها طبيعة الرجل الذي يتميز بإتخاذ القرارات الحاسمة، و الذي لا يفضل الظهور في موضع ضعف أمام الآخرين و بالتالي يختار الطرق الأكثر حسما و الأكثر عنفا و تؤديه إلى الموت الحتمي، عكس المرأة التي تتميز بالليونة أكثر و العاطفة و عدم الحسم في اتخاذ القرار، مما يؤدي بها إلى تفادي اللجوء في الغالب إلى استعمال وسائل حاسمة و عنيفة في إقدامها على الانتحار رغبة في ترك مجال لإنقاذها من طرف المحيطين بها، حيث تعتبر المحاولة الانتحارية بمثابة صيحة نجدة و محاولة لجلب الانتباه الآخرين ليأخذوا حالتها بعين الاعتبار و يعيروها الاهتمام اللازم.

4. السلوك الانتحاري حسب أيام الأسبوع:

تبين الإحصائيات حول السلوك الانتحاري بولاية جيجل أن أعلى النسب نجدها في وسط الأسبوع أيام الاثنين، الثلاثاء، والأربعاء، وأخفضها نجدها في طرفي الأسبوع، إما في بدايته أو نهايته، ما يمكن ملاحظته أن أخفض نسبة على الإطلاق سجلت يوم الجمعة، ويعود هذا الأمر إلى طبيعة هذا اليوم المقدسة لدى المسلمين، حيث يعتبر عيدا لهم، وتقام فيه صلاة الجمعة، والتي يحضرها كل المصلين، إلا الذي له عذر شرعي، كما تحضر النساء للصلاة في المسجد خلاف أيام الأسبوع الأخرى، إن الاجتماع في بيوت الله، والاستماع إلى الذكر والمواعظ الدينية يولد إحساسا بالسلام والرضى الداخلي، حيث يشعر الفرد المسلم بروح التضامن من خلال تواجده مع إخوانه في المسجد.

الرسم البياني رقم (01) يبين السلوك الانتحاري حسب أيام الأسبوع لولاية جيجل

(2006-2000)

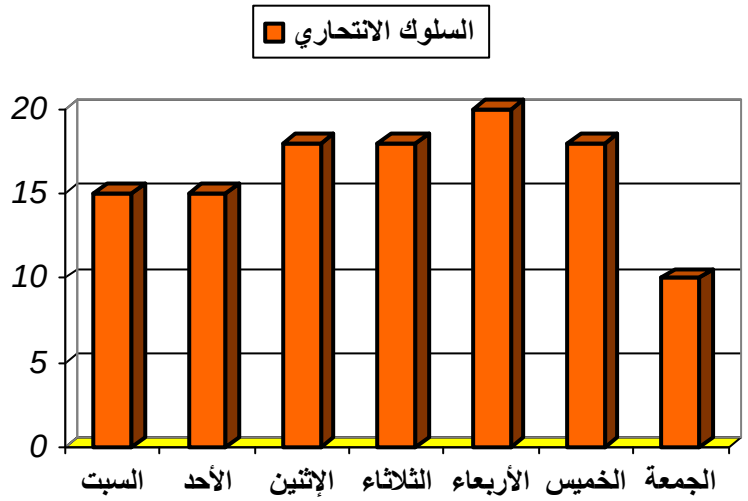

كما أن هذه النتيجة تنسجم ولو نسبيا مع ما توصلت إليه الدراسات الفردية حول علاقة الانتحار بأيام الأسبوع، والذي يكون أقوى في بداية الأسبوع عنه في نهايته, حيث أنها في ولاية جيجل مثلا تتزايد كلما اتجهنا إلى نهاية الأسبوع، والاستثناء الوحيد هو في يوم الجمعة الذي يسجل أخفض نسبة، مما يدعونا إلى التفكير في أثر الممارسات الدينية في الوقاية من السلوكات الانحرافية بصفة عامة، والسلوك الانتحاري بصفة خاصة، وهذا الأمر يمكن تعميمه على المستوى الوطني، حيث تشير الإحصائيات الوطنية عن الانتحار إلى انهيار كبير لنسب الانتحار والمحاولات الانتحارية أيام الجمعة، وكذا في شهر رمضان الكريم.

5ـ الطرق الأساسية المستعملة في السلوك الانتحاري:

تزودنا الإحصائيات المتعلقة بالوسائل المستعملة في الانتحار بدليل قاطع بأن الرجال يستعملون وسائل أكثر خطورة من تلك المستعملة من طرف النساء، حيث أشار ريتش وافرون إلى أن الذكور يستخدمون الأسلحة النارية والشنق في محاولات انتحارهم أما الإناث فيتناولون العقاقير أو يقطعن الأوردة الدموية بأيديهن في محاولات انتحارهن. هذا الواقع تصدقه الإحصائيات المحصل عليها من طرف الباحث في ميدان الدراسة، حيث نجد أن 66,66 % من المنتحرين بولاية جيجل يستخدمون الشنق ويمكن تفسير هذه النسبة العالية من خلال حقيقة أنّ أغلب المنتحرين انتحارا كاملا من الذكور، في حين نجد نسبة أقل بكثير من النساء.

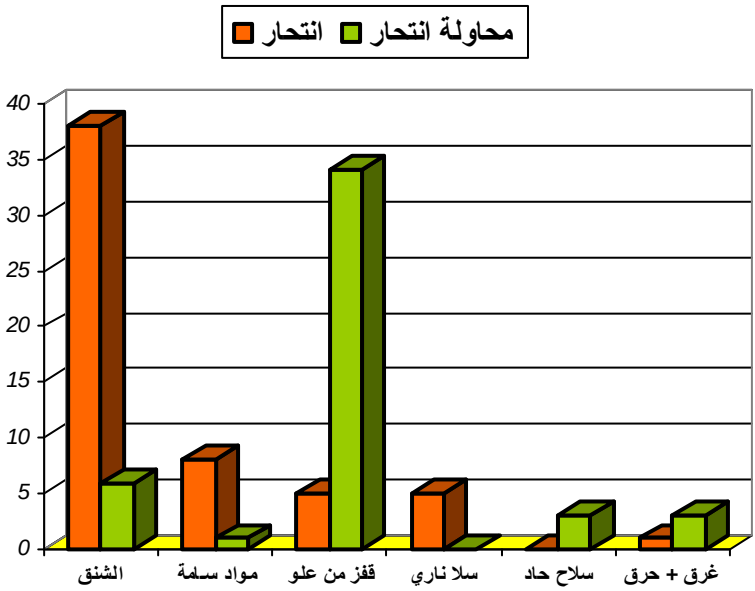

الرسم البياني رقم(2) يبين السلوك الانتحاري حسب الوسيلة المستعملة لولاية جيجل (2000-2006)

ونحن نعرف من خلال نتائج العديد من الدراسات في الدول الغربية والعربية أن "الرجال يستعملون أكثر العنف الأقصى أو أنهم يسلكون أكثر سلوكيات تتميز بمخاطرة عالية مقارنة بالنساء"(15) ، كما أن هناك تفسيرا ثقافيا يرى بأن الانتحار حل مقبول اجتماعيا أكثر بالنسبة للرجال منه بالنسبة للنساء، كما أن ثقافة العنف المرتبطة بالجنس الذكري لا تساهم في كبح الرجال عن استعمال وسائل قصوى من أجل وضع حد لحياتهم، طبعا هذا ما يفسر زيادة نسب الانتحار الكامل عند الرجال، وزيادة نسب محاولات الانتحار عند النساء، فالوسيلة المستعملة لها دور كبير في تحديد النتيجة النهائية للفعل الانتحاري لدى الشخص المقدم عليه. كما نجد بعد الشنق طريقة القفز من علو بنسبة ضئيلة تقدر بـ 4.52%، ويأتي على التوالي استعمال المواد السامة والسلاح الناري بنسبة

تقدر بـ 2.87% لكليهما، ثم الغرق بـ 1.04%، واستعمال السلاح الحاد بـ 0.34%.

أما بالنسبة للإناث فيختلف الترتيب لاختلاف طبيعة الجنسين، حيث نجد في المرتبة الأولى القفز في الفراغ بـ 45.45%، ثم تناول مواد سامة بنسبة 18.88%، ويليها استعمال سلاح حاد بنسبة 13.63%، ونسبة ضئيلة تخص على التوالي الاختناق بالغاز والحرق، وفي الأخير الشنق واستعمال السلاح الناري.

إن هذه الإحصائيات الخاصة بولاية جيجل لا تخرج عن الإطار العام للسلوك الانتحاري في المجتمع الجزائري، حيث نجد من بين الطرق المستعملة في الانتحار في الجزائر هي الشنق الذي يأتي في المرتبة الأولى، فحسب دراسة لمصالح الدرك الوطني في سنة 2005، فإن الانتحار شنقا يمثل 70% من الانتحارات التي حدثت في 12 سنة الماضية (1993-2005)، وأن 30% مقسمة بين تسممات واستعمال السلاح الناري والأسلحة البيضاء والمواد الحادة.

6. البطالة و السلوك الانتحاري :

جدول رقم (04) يبين السلوك الانتحاري حسب البطالة بولاية جيجل للعام 2008

السلوك الانتحاري / المهنة	تكرار	نسبة
يعمـل	4	%21.05
بطـال	14	% 73.68
المجموع	18	% 100

من خلال معطيات هذا الجدول تبدوا العلاقة واضحة جدا و ذات دلالة إحصائية مالية بين عامل البطالة و الإقدام على الانتحار أو المحاولة الانتحارية حيث أن 73 ٪ من البطالين قاموا بسلوك انتحاري مقابل 21.05 ٪ فقط من المشتغلين قد قاموا بذلك ، إن هذه النتيجة تجد دعما لها في إحصائيات الدرك الوطني للفترة الممتدة من 1993-2005 في الجزائر حيث سجلت أن 63 ٪ من المنتحرين أو محاولي الانتحار هم من الشباب البطالين .

كما تتفق مع دراسة سابقة قام بها الباحث تحت عنوان (الخصائص السوسيوديموغرافية للمنتحرين بالجزائر (وصف حالات من ولاية سكيكدة 2000-2004) حيث توصلنا إلى أن المشاكل السوسيواقتصادية تتصدر باقي المشاكل في الدفع بالشباب إلى القيام بالسلوك الانتحاري (15) ، حيث أن « المستوى الاقتصادي لا يرتبط بالضرورة مباشرة بخطر المرور إلى الفعل الانتحاري و لكن البطالة و الإفلاس تعتبر عوامل ذات أهمية بالغة ، إذ تمثل جرحا نرجسيا

بالإضافة إلى فقدان احترام الذات في الغالب، حيث تؤدي إلى انخفاض في المداخيل و بالتالي التقليل من إمكانية التكيف، و زيادة فرص العزلة الاجتماعية، و في بعض الأحيان العائلية، و انقطاع في الروابط و المعالم مما قد يؤدي إلى أزمة عائلية سواء مع الأبوين و الإخوة في حالة الشاب أعزب أو مع الزوجة إذا كان متزوجا (16).

7. العلاقة بين الحالة المدنية و البطالة و الانتحار:

جدول رقم (05) يبين العلاقة بين الحالة المدنية و البطالة و السلوك الانتحاري بولاية جيجل للعام 2008

الوضعية الاقتصادية للمنتحرين / الحالة المدنية للمنتحرين	بطـال	يشتغـل	المجمـوع
أعـزب	11 %73.33	2 %50	13 %68.42
متـزوج	4 %26.66	2 % 50	6 %31.57
المجمـوع	15 % 100	4 % 100	19 ٪100

تبين معطيات هذا الجدول مدى تأثير عامل البطالة على زيادة السلوكات الانتحارية كما أشدنا من قبل و إذا علمنا " أن الانتحار يزيد أكثر عند الرجال

المطلقين ، المنفصلين أو العزاب " (17) فإن هذا بمعطيات الجدول أعلاه لا تشد عن القاعدة إذ أن البطالين العزاب هم الفئة الأكثر إقبالا على السلوك الانتحاري بنسبة 73.33 ٪ مقارنة بالمشتغلين العزاب و التي قدرت بـ 50 ٪ و يمكن تفسير هذا الفرق بين الفئتين إلى اجتماع عاملي مخاطرة بالنسبة للفئة الأولى و هما البطالة و العزوبية و اللذان يعتبران حسب اغلب الدراسات التي أجريت إلى يومنا هذا من بين أهم العوامل المؤدية للسلوك الانتحاري دون أن ننسى أن هناك عامل ثالث محفز و هو عامل السن باعتبار هذه الفئة تنتمي إلى فئة الشباب ذوي الفئة العمرية (18-40 سنة) و التي حسب ما اشرنا أعلاه تعتبر الفئة العمرية الأكثر مساسا بهذه الظاهرة الخطيرة .

في حين أن البطالين المتزوجين يقبلون اقل على السلوك الانتحاري مقارنة بالمشتغلين المتزوجين بنسبة تقدر بـ 26.66 ٪ و 50 ٪ على التوالي، إن هذه النتيجة التي تبدوا مناقضة لما توصلنا إليه سابقا من أن الزواج يلعب دور حامي ضد الانتحار إلا أنها في الحقيقة ليست كذلك، فالواقع هنا مختلف إذن الشاب الأعزب ليس له مسؤوليات اتجاه زوجة أو أطفال، فحتى و إن كان بطالا فإن انعكاسات البطالة ستؤثر فيه لوحده أما الشاب المتزوج و الذي يعاني من البطالة فإن المسؤولية الملقاة على عاتقه أثقل و اكبر مما تدفع به إلى الوقوع في وضعيات قلق مثل الخلاف مع الزوجة، و عدم القدرة على تلبية حاجات الأسرة و الإحساس بالذنب لرؤية أطفاله في وضعية مثيرة للشفقة، مما يساهم في تأزيم حالته النفسية و إحساسه باليأس و القنوط ما يدفعه إلى الإقبال على إنهاء الحياة كحل نهائي و حاسم لهذه المشاكل .

الخاتمة :

من خلال هذه الدراسة يمكننا أن نخلص إلى بعض النتائج المعلقة بخصائص السلوك الانتحاري بولاية جيجل:

- ✓ الانتحار الكامل له علاقة ايجابية بجنس الذكور .
- ✓ محاولات الانتحار فعل تختص به الإناث أكثر من الذكور .
- ✓ السلوك الانتحاري عامة يخص الشباب ذوي الفئة العمرية 18-40 سنة، و هذا عكس ما هو حادث في الدول الغربية حيث يبلغ معدل انتحار كبار السن أعلى مستوى مقارنة بكل فئات السن الأخرى و هذا في حوالي ثلثي بلدان العالم و توجد النسب الأعلى عند الرجال و النساء من ذوي الفئة العمرية من 75 سنة فما فوق، غير أن هذا الأمر لا يمثل القاعدة دائما ففي الكيبك يمثل كبار السن اخفض نسب الانتحار بين كل الفئات العمرية و يفسر هذه النسبة المنخفضة حسب بحث صحة-الكيبك (santé- Québec) لكون الكبار هم الأشخاص الأكثر رضا عن حياتهم و عن علاقاتهم مع عائلاتهم و محيطهم [18] .
- ✓ هناك ارتباط ايجابي بين السلوك الانتحاري و البطالة و بين العزوبية و السلوك الانتحاري .
- ✓ كما نلاحظ انه كلما اجتمعت عوامل المخاطرة زادت من إمكانية المرور إلى الفعل الانتحاري.
- ✓ أهم عوامل المخاطرة: أن تكون شابا أعزبا و بطالا فهذه الخصائص الأكثر تحفيزا على الإقبال على السلوك الانتحاري .

❖ **توصيات :**

من خلال النتائج التي توصلت إليها الدراسة الحالية يمكن أن تكون مجموعة التوصيات الآتية و التي قد تساهم في النظر لهذه الظاهرة بموضوعية اكبر و في إيجاد حلول ناجعة لها.

- إنّ السلوك الانتحاري ليس قدرا محتوما وان إبداء الاهتمام والعناية أكثر خاصة بفئة الشباب والمراهقين قد يساهم بجدية في التقليص من انتشار هذه الظاهرة في أوساطهم.
- إنّ زيادة الاهتمام بفئة الشباب و خاصة الذين هم في سن المراهقة من بين عوامل الوقاية من الانتحار.
- يساهم تدعيم الجانب الروحي لدى الشباب مساهمة فعالة في إيجاد معالم و قيم تحصنهم من الانحرافات بصفة عامة و الانتحار على الخصوص .
- يعتبر دور مؤسسات التنشئة الاجتماعية و في مقدمتها الأسرة و المدرسة دورا حاسما في توفير عامل الحماية للشباب و المراهقين.
- يساهم إدماج الشباب من خلال توظيفهم عامل مهم و حاسم في التقليل من نسب الانتحار لدى هذه الفئة الأساسية في المجتمع.
- إن تدعيم الجانب الروحي لدى الشباب والحرص على أن ينهل ويتشرب القيم الأصلية والصحيحة للدين الإسلامي الحنيف دور حاسم في الوقاية من الانحرافات بصفة عامة والانتحار على الخصوص.
- إن توفير الدعم المادي والمعنوي للدراسات التي تعني بمثل هذه الظواهر الخطيرة والتي تمس شريحة الشباب خاصة قد يساهم في إيجاد الحلول الناجعة للكثير منها وعلى رأسها مشكلة الانتحار.

- ويبقى توفير المعلومات والإحصائيات الدقيقة وذات المصداقية عاملا حاسما في تشخيصنا لواقع الظاهرة. وبالتالي إمكانية التعامل معها بدقة وموضوعية.

❖ هوامش البحث

(1) أنتوني جدنز: علم الاجتماع (مع مدخلات عربية) ، ط4، تر : فايز الصايغ، المنظمة العربية للترجمة بيروت، 2005، ص 64 .

(2) فخري الدباغ: **الموت .... اختيارا (دراسة نفسية اجتماعية موسعة لظاهرة قتل النفس)** ، المكتبة العصرية صيدا بيروت، 1968، ص 7.

(3) المرجع السابق، ص 7.

(4) تكفي كلثوم: **الانتحار في المجتمع الجزائري**، ماجستير في علم الاجتماع العائلي، جامعة الجزائر، 1995-1996، ص 44 .

(5) المرجع السابق، ص 44 .

(6) Mishara , Brian, L, Tousignant Michel**, comprendre le suicide** ,P.U.M , 2004.p 30.

(7) Emile Durkheim , " **suicide ", A study in sociology** , translated by John A, Spaulding and George Simpson , A free Hens Paperback , Macmillan publishing co , INC, New York, 1966, pp 152-171 .

(8) Ibid , pp 217-240

(9) Ibid..

(10) بروفسور تجيزة محمد (رئيس قسم الأمراض العقلية لمستشفى دريد حسين بالجزائر العاصمة) نقلا عن جريدة الخبر العد 4401 اليوم 23/ 05/ 2005.

(11) Belkacem bensmail , la psychiatrie aujourd'hui ; O.P.U , Alger , 1994, p 41.

(12) Maurice Gérard, le suicide affaire moins privé qu'on le pense, science et vie, avril, 1985, n 871, pp 42-46.

(13) Pierre G. coslin : les conduites à risques à l'adolescence, Armand colin, Paris, 2003, p1.

(14) بوالفلفل إبراهيم: الخصائص السوسيوديموغرافية للمنتحرين بالجزائر (وصف حالات من ولاية سكيكدة 2000-2004) ، المجلة الجزائرية للدراسات السوسيولوجية، عدد (2-3) ، جوان 2007، ص 209-248.

(15) Mishara , Brian, L, Tousignant Michel,opcit ,.p 48
(16) Charzac .M. Brunel, prévenir le suicide : clinique et prise en charge, Dunod , paris, 2002, p 126
(17) Ibid , p 126 .
(18) Ibid , p 88 .